المرأة والرجل وهل يتساويان ؟

تابع صفحة ٤٣٠

(٣) اني اشكر لحضرة السيدة الفاضلة م . م . الاولى على اطنابها في مدحي واوافقها على ان الرجل اذا كان يمتاز على المرأة بشدة البدن فالمرأة تمتاز بجمالها واعتدال قوامها ولطف تركيبها وخضاضتها وبضاضتها اقول وبذلك قوتها وقد اشرت الى هذه الامتيازات في مقالتي السابقة خلافاً لقولها اني اهملتها ولا اعلم انها في ان انبساط قدم المرأة وكونها تزر ثيابها عن اليسار خلافاً للرجل مسألة تختلف في مدلولها ولكي انكر على حضرتها ما تسبغي الى التحامل عليها والاعجاب بحقوقها ولا اسلم معها بامور ثلاثة وهي اولاً انكارها كون بطء النمو دليلاً على الارتقاء وسرعته دليلاً على الانحطاط ثانياً قولها ان حواس المرأة ارقى من حواس الرجل ثالثاً كون ثقل الدماغ ليس دليلاً على كبر العقل

اما كون بطء النمو وسرعته دليلين على الارتقاء والانحطاط فامر مقرر واني استغرب كيف ان حضرتها ترتاب فيه وبكفينا للحكم فيه ان نلقي نظرنا الى ما حولنا لنتأكد صحته في مواليد الطبيعة النبات والحيوان حتى الجماد ايضاً . الا ترى سرعة نمو النباتات الساقطة وبطء نمو اكابر الحيوانات العالية ولا اوجه نظرها الى الاحياء المكروسكوبية التي تتكاثر ملايين وتنمو وتبلغ اشدها وتهرم وتموت في اقل من ساعة فان مراقبة هذه لا تتيسر الا للخاصة بل الى الفرق بين النباتات الحولية كالاعشاب والنباتات المعمرة كالاشجار مما تعرفه العامة اي فرق بينهما في سرعة نمو الاولى وبطء نمو الثانية . وما قيل عن النبات يقال ايضاً عن الحيوان وبه يعلل ايضاً سرعة نمو البنات وبطؤ الصبيان اذ لا يخفى ان البنات يسبقن الصبيان لغاية سن ١٥ سنة ثم يقفن ويستمر على النمو كما قلت في المقالة السابقة

واما كون حواس المرأة الخمس ادق من حواس الرجل فقول مبني على ادلة نشريحية وزيولوجية مخطوطة والذي اعلمه على اليقين بناء على ما هو مقرر في هذين العلمين انهما دون حواس الرجل ولنا على ذلك ايضاً برهان آخر عملي وهو امتياز الرجل على المرأة في جميع الحواس التي تحتاج الى ارتقاء هذه الحواس حتى الاعمال الخاصة بالمرأة نفسها كفن الخياطة والرسم وما شاكل وقد اشرنا الى ذلك في ما تقدم فلو كانت حواس المرأة ارقى ومن حواس الرجل حقيقة لاقتضى ان تمتاز عليه في هذه الاعمال بل في جميع الاعمال اليدوية والعقلية ايضاً لاحتياجها جميعها الى الحواس الظاهرة التي هي ابواب العقل على ان

بناء هذه الحواس هو كبناء جميع المجموع العصبي ولا يخفى ان هذا المجموع أرقى في الرجل منه في المرأة . ولا يعلم سوى ان المرأة اشد انعطافاً من الرجل أعني ان عصبها يفعل اكثر من عصبه لذلك كانت تتأثر اكثر منه وشدة هذا التأثر العصبي ليس دليلاً على شدة العصب بل على ضعفه كما لا يخفى على علماء الامراض فكون اعصاب المرأة الطف تركيباً وادق بنية شاهد عليها لا لها

واما مسألة العقل وارتباطه بحجم الدماغ فامر مقرر خلافاً لما زعمت حضرتها والنظر في هذه المسألة كما في جميع المسائل لا يصح الحكم فيه الا بالنظر الى الكل لا الى الجزء والا فهناك اسباب كثيرة يكون فيها كبر الدماغ مرضياً لا فزيولوجياً فهذا لا يعوّل عليه وهذا هو موضوع الخلاف في تلك المناقشة التي اشارت حضرتها اليها والتي وهمت منها ما ظننته دليلاً على الضد . فكبر الدماغ الفزيولوجي يرافقه دائماً اتقان في نسيجه وارتقاء في بنائه . ومن المقرر المعلوم ان معدل ثقل الدماغ هو اقل في شعب سافل منه في شعب عالٍ وفي اقل الناس عقلاً منه في اعقلهم وفي النساء منه في الرجال وغير ذلك نادر والنادر لا يعتد به بل ويوجد ايضاً نظر آخر هو سبب هذا الوهم فلا يخفى ان الدماغ لا يبقى حجمه ولا وزنه على معدل واحد في سائر اطوار الحياة فذلك الجاهل البليد وذلك العالم الفيلسوف المتقد ذهناً في بعض اطوار حياته او في ابان صحته قد يطرأ على دماغهما قبل موتهما او في مرضهما ما يغير تركيبه فاذا وزنته بعد موتهما وجدته اما كبيراً جداً خارقاً للعادة او اصغر مما يلزم فتحكم على ان القول بنسبة العقل الى كبر الدماغ خطأ ويكون الخطأ حقيقة في حكمك نفسه . وهذا هو سبب اكثر الخلاف في هذه المسألة والا فلا خلاف اذا نظر فيها الى الكل

واما ما ذكرته من فضائل المرأة وانها المعزية الحزين والمفرّجة المكروب والصابرة على مضض العيش ونغص الحياة والراضية بمشاركة الرجل في سرائه وضرائه الخ فاوصاف نسبية ولا تدل على شيء مما نحن بصدده ويشترك الرجل فيها اكثر منها احياناً وقد تقدم الجواب عليها في الرد السابق وهي لا تثبت لها الا بالتهذيب الصحيح والا فتنقلب فيها الى ضد ذلك وتكون المرأة حينئذٍ بلوى الرجل المكدرة صفوه والمنغصة عيشه والزائدة حزنه والجالبة كربه والقاصفة عمره . فالذي يذكر تلك الصفات الحميدة ينبغي ان لا يذهل فيها ايضاً عن هذه الصفات الذميمة قول ذلك لا بقصد التحامل عليها ولكن بقصد استيفاء الموضوع لاننا في معرض نحاول فيه تقرير الحقائق فكما ان المرأة المهذبة ملك كريم هكذا المرأة الجاهلة شيطان ذميم وما احرى هذا القول ان ينبهنا جميعاً الى تربية المرأة والاعتناء

بتهذيبها تهذيباً صحيحاً يزيدها جمالاً لا تهذيباً مبهرجاً يزيدها شراً ووبالاً

(٤) اني اقول رداً على خطاب حضرة السيدة الفاضلة م . م . الثانية انه لم يلجئني ملجئ التحامل على النساء ولكني قصدت في مقالي تقرير الواقع ولا انكر ان المتنصرين والمتنصرات ضدي كثار كما قالت ولكني اقول ان الحق لا تهوله الكثرة فكم فئة صغيرة غلبت فئة كبيرة باذن الله . واني اسلم معها بان على خفة عظمها ودقة عضلها لا يوقفها عن الدفاع عن نفسها صلابة عظم الرجل وغلظ عضلـه لاني لا اجهل ان لها سلاحاً آخر غير سلاح القوة هو سلاح الحيلة والدهاء

سألت حضرتها ثلاث مسائل (١) هل كانت المرأة في اول عهد الاجتماع مساوية للرجل (٢) هل هي في الحالة الحاضرة مساوية له (٣) هل تكون مساوية له في المستقبل . واجبت على كل ذلك بالايجاب بل ربما توسعت فيما سبقاً عليه ايضاً . واما اوافقها في جوابها على السؤال الاول وان كنت اخالفها في التعليل الذي يصرفني عن بسطه هنا ضيق المقام واخالفها كل المخالفة في جوابها على السؤالين الاخيرين .

اما كون المرأة مساوية للرجل في الحالة الحاضرة فليس لها عليه دليل سوى قولها « ان المرأة اقدر على احتمال الرجل مما هو على احتمالها » على ان من النساء من تبغض في الطب والعفة وحسن الملك « ولما كان الجواب على ذلك مستدركاً في مقالي السابقة بقولي « لا تبعد ان تكون سيداتهن قد استبعدت لهن لاسباب اخرى اما لارث ملوكي واما لنبوغ غير اعتيادي » . قالت حضرتها « فنحن لا نقول الخلاف لاننا نعلم ان الرجل منذ ابيح له القوانين والشرائع وتفضيل نفسه عليها الخ » ولم يتح لها ذلك . لا شك في انها تجيب لانه اقوى منها . وبذلك نجيب ايضاً لو قلنا لها عن طيباتها وقبيحاتها « انه لا يعلم احسن من الا على خطوات الرجال متقلدات غير مختبرات » وعن مليكاتها « انهن لم يحكمن حكمهن الا بمساعدة الرجال » ولا يحسن الملك بين الا اذا كن فيه صورة لا حقيقة كما في ملكة اوفي الشعوب اليوم والا فيسرن بالملك الى الوبال كما دلت عليه التواريخ . واما قولها ان المرأة ستكون مساوية للرجل في المستقبل بل اوفى منه فهذا لا دليل لها عليه ومناقض لما علم من سنن ارتقاء الرجل والمرأة حيث تفوق ان الانثى اقوى من الذكر في الحيوانات السافلة ومساوية له في الحيوانات المتوسطة واضعف منه في الحيوانات العالية الهم الا ان تكون تخاف على الهيئة الاجتماعية في المستقبل من الانحطاط فيتحقق قولها ولا اظن ان حضرتها تعد المستقبل الهيئة الاجتماعية مثل هذا الشر

على اني اعجب غاية العجب من تحامل حضرات السيدات عليّ وتوهمهن فيّ سوأ وانا لم ابخسهن شيئاً من حقوقهن بل بالضد من ذلك بحثت في امرهن بحثاً طبيعياً لتقرير مقامهن في العمران وهذا يعد انتصاراً لهن لا تحاملاً عليهن . او ماذا يقلن (وهن لا يحتملن مني ذلك) في الشرائع التي يدنّ بها والتي تجعلهن تحت الرجل بدركات وتحظر عليهن امورا كثيرة لا تحظرها على الرجل . أليست هي القائلة فيهن « المرأة ضلع من الرجل والرجل رأس المرأة » حتى لا ناتي الا باخف ما قالت فيهن . او ما يرغبن في مزاحمتهن الرجال وطلبهن المساواة بهم أيرغبن ان يشتغلن اشغالهم فان كان كذلك فلقد طالما جد الرجل وكد وسعى في طلب الرزق حتى كلّ وملّ والمرأة عائشة على نفقته مرتاحة من اتعابه خالية من تجشم اهواله فلتتفضل حضرتها ان كانت تجد من نفسها قوة وتجند منها الجند وتؤلف الفيال وتشيد الاعمال وتسعى وتجد وتكدح وتكد في طلب العيش فقد آن لها ان تشتغل والرجل ان يستريح فان كانت تستطيع ذلك فلتقدم عليه فيكون لها به اجر المحسنين والا فلا تضيع الوقت الثمين في طلب المستحيل ولترضى بتركها فانه ليس اقل اهمية من مركز الرجل .

(٥) لقد طال لي المقام وطال بي الكفاح والصدام في هذه الحرب مع السيدات حتى صار الخروج منها الى حرب ذوي لحى وشوارب غبناً واي غبن ولذلك اقتصر في الرد على جناب الاديب (خ . س) بالاشارة الى الوهم الذي جعله يعترض اعتراضه عليّ في مقالته التي وضعها تحت عنوان « الرجل والمرأة وهل يتساويان » حتى اذا انتبه اليه اصلحه وهو في قوله اولاً « والذي يلوح لي ان الانثى والذكر متساويان في القوة اصلاً ثم كلما ارتقت في سلم النشوء انحطت قوتها الخ » وثانياً في قوله « ولما كان القائلون بامتياز الانثى على الذكر قوة في الحيوانات السافلة لا بد لهم من مستند يقررون به قولهم فنطلب الى الدكتور شميل ان يفيدنا عن بعض مستنداتهم هذه » فتجيب حضرته على القول الاول بان المسألة ليست من قبيل اللوح حتى يلوح له بالحدس والتخمين وانما هي من قبيل اليقين المقرر بالمراقبة والاختبار . وعلى القول الثاني بانه لو انتبه الى معنى قولنا « فمن المعلوم لاهل التعمق من علماء طبائع الحيوان ان الانثى اشد من الذكر في الحيوانات السافلة الخ » لعلم ان المراد بهذه الشدة ان الانثى اكبر من الذكر في جسمها واشد في بنيتها وافوى في قوتها كانثى النحل والزنابير والفراش وكثير من الاسماك والحشرات فهذه هي المستندات التي يطلبها حضرته وفي ما عدا ذلك فاني شاكرٌ لحضرته على انتصاره لي واطرائه عليّ والسلام ختام